باب

فى حسن المرأة وجمالها، وأدبها وكمالها

فى الحديث الشريف "النظر إلى المرأة الحسناء والخضرة يزيدان فى البصر" – رواه أبو نعيم فى الحلية عن جابر بن عبد الله – وفى حديث آخر "ثلاثة فاتنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن" وقال أصحاب الاختصاص فى تعيين الجمال والحسن:

صاحب الحسن والجمال بحق ... من تميل القلوب طراً إليه

كلما لاح حسنه فى مكان ... كثرت زحمة العيون عليه

وقال آخرون: بل الحسن والجمال فى أعضاء مخصوصة بكيفيات مخصوصة من كانت فيه كان حسنًا جميلا. وقال قائل: الجمال هو عبارة عن ميل الذوق واستحسانه لشيء. ورد هذا القول بأن الأذواق تختلف والطباع تتباين، فكم من محبوب عند قوم مكروه عند آخرين. وقال ابن أبى الأنصارى المتوفى سنة ٧٢٧ فى كتابه (السياسة فى علم الفراسة) قال صاحب البرجانى: إذا اجتمعت فى المرأة الرباعيات فهى الكاملة الجمال والحسن، سواد أربعة: شعر الرأس، وشعر الجفون، وشعر الحاجبين، وسواد الحدقة، وبياض أربعة: بياض لحمها، وبدنها، وأسنانها، وكفيها، بياضًا نقيًا، واحمرار أربعة: اللسان، والشفتين، والوجه، واللثة، وتدوير أربعة: الرأس، والكعبين، والكفل، والنهدين، وطول أربعة: القامة، والعنق، والحاجب، والشعر، وطيب أربعة: رائحة الأنف، والفم، والإبط، والفرج، ودقة أربعة: الشعر، والخصر، والأنف، واللسان، ورقة أربعة: الشفتين، والبشرة، وأصابع اليدين، والرجلين، وصغر أربعة: الفم، والأنف، ولاكف، والقدمين، وحرارة أربعة: البدن، والنفس، والفرج، والقدمين، وقبقية

أربعة: الظفر، والفرج، والثدى. وظهر الكفين، ورخوصة أربعة: العنق، والكفين، والبطن، والقدمين، وسبوطة[1] أربعة: العنق، والساقين، والساعدين، والكفين،

وهى مع هذا متناسبة مقادير الأعضاء والرأس والوجه، معتدلة القدمين بين الهزال المفرط والعبالة الزائدة، معتدلة اللحم بين الصلابة والرهولة، ودعجاء الطرف زجاء الحاجبين، مفلجة الثغر، مرتجة الكفل، حلوة الكلام. دون الطويلة وفوق القصيرة ويقول صاحب كتاب (السياية فى علم الفراسة) أيضًا إن العيون فى الحجازيات، والخصور فى اليمنيات، والشعور فى الكرجيات ا هـ وقال بعض الشعراء مشيرًا إلى نساءٍ قبائل من العرب اختصصن بشيء من الجمال:

خزاعية الأطراف كندية الحشا فزارية العينين طائية الفم

وفى كتب اللغة اللغة تفصيل لجمال النساء ولكل نوع اسم وهو، الوضيئة - هى التى فيها مسحة من جمال، الحسانة - بوزن جمانه - هى التى يشبه بعضها بعضًا الغنية - هى المستغنية بجمالها عن الزينة، الوسيمة - هى ذات الحسن الثابت القسيمة - هى ذات الحظ الوافر من الحسن، الرائعة - هى التى تسر من ينظر إليها الباهرة - هى الفائقة على غيرها بحسنها، الخود - هى الحسنة الخلقة الغادة - هى الناعمة وهى أيضًا الأملود والرود والبرهرهة، البضة - هى الرقيقة الجلد الرعبوبة - هى البيضاء الناعمة، الهيفاء - هى الضامرة البطن، الغيداء - هى المتثنية من اللين، الممسودة - هى الممشوقة القد، البهنانة - هى الطيبة الريح، العطبولة - هى الطويلة العنق، الخريدة - هى الحيية، العروب - هى المتحببة لزوجها.

---

(١) السبوطة ضد التجعد والتعقد بأن يكون لينا مسترسلا.

قال كعب بن زهير رضى الله عنه فى قصيدته (بانت سعاد) المشهورة

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

وذكر أبو الفرج الأصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ فى كتابه (الأغانى) فى أخبار عمر ابن أبى ربيعة المخزومى المتوفى غرقًا سنة ٩٣ أن الثريا بنت على ابن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر التى كان عمر يشبب بها كانت على جانب عظيم من الجمال وتمام حسن الخلقة، وذكر أنها كانت تصب عليها جرة ماء وهى قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيها منه شىء لعظم عجيزتها ا هـ وقال الشاعر:

أبت الروادف والثدى لقمصها من البطون وأن تمس ظهوراً

ويقال فى تقسيم الحسن: إن الصباحة فى الوجه، والوضاءة فى البشرة، والجمال فى الأنف، والحسن فى الوجه، والحلاوة فى العينين، والملاحة فى الفم، والظرف فى اللسان، والرشاقة فى القد، واللباقة - بالباء الموحدة - فى الشمايل، والبراعة فى الجيد، والوقة فى الخصر. كما هو مذكور فى كتاب فقه اللغة للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ وفى كتاب أسرار النساء (لسليمان أعوان) أن الشعور لنساء الغانج - فى إفريقية - والأنوف للروم، والأفواه للانكليز، والقامات للشراكسة، والألوان للألمان والأسنان للمصريات والسواعد للبلجكيات، والأفخاذ للإيطاليات، والعيون للأسبانيوليات، والأرجل للصينيات. واللطافة للفرنسويات، فمن كانت فيها هذه الأشياء فهى الجميلة اهـ.

فصل فى ترتيب سن المرأة

ما دامت صغيرة فهى طفلة، فإذا تحركت فهى وليدة، فإذا كعب ثدياها فهى كاعب فإذا زاد تكعبهما فهى ناهد، فإذا أدركت فهى معصر، فإذا

ارتفعت عن حد الأعصار فهى عانس، فإذا توسطت الشباب فهى خود، فإذا جاوزت الأربعين فهى مسلف، فإذا كانت بين الشباب والتعجيز فهى نصف، فإذا وجدت مس الكبر فهى شهلة وكهلة، فإذا عجزت وفيها تماسك فهى شهربة، فإذا صارت عالية السن ناقصة القوة فهى حيزبون، فإذا انحنى قدها وسقطت أسنانها فهى قلعم، ولطلط، بكسر اللامين.

مباراة الجمال بين الفتيات

أحدثت بعض الدول الأوربية بدعة المباراة فى الجمال بين فتيات العالم ممن يحبين الاشتراك فيها، وليس هذا الأحداث من الأمور الهامة، بل هو إلى السخف أقرب منه إلى الجد حيث أنه ليس فى وسع أحد أن يكون سابقًا فى الجمال على غيره إذ هو من المواهب لا من المكاسب، ولا يمكن الاتفاق بين العالم كله على تخصيص فتاة بأنها هى الوحيدة فى الجمال فى العالم لاختلاف الأذواق فيه، إلا أنه لا يخلو من فائدة اعتنائهن بصحتهن فهو من هذه الجهة حسن.

باب

فى ذكر جوامع أعداد، لها بمدح النساء اعتداد

أنقل من كتابى (لوامع الإسعاد فى جوامع الإعداد) ماله علاقة بمدح النساء من أعداد جامعة، لأشياء رافعة، من أحاديث نبوية، وأقوال حكيمة، وأبيات شعرية، مشيراً إلى الحديث بحرف الحاء، وتاركًا ما هو غيره بلا إشارة على السواء.

عدد الاثنين

"حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة" (ح) - رواه الإمام أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى عن أنس بن مالك - "أنى أحرج عليكم حق الضعيفين المرأة واليتيم" (ح) - رواه الحاكم والبيهقى عن أى هريرة -

عدد الثلاثة

"ثلاثة لا تمسهم النار، المرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه، والمرأة الصبور على غيرة زوجها" (ح)، "لهو المؤمن باطل إلا فى ثلاث، تأدية فرسه، ورميه عن قوسه وملاعبته مع أهله" (ح) "ثلاثة تقر العين المرأة الموافقة، والولد الأديب، والأخ الودود، "ثلاثة تنسى المصائب، مر الليالى، والمرأة الحسناء، ومحادثة فى ثلاثة، سعة المنزل، وكثرة الخدم، وموافقة الأهل"، "لا سمر بعد العشاء إلا لثلاث، مؤانسة ضيف، أو محادثة أهل، أو مدارسة علم" "ذهبت اللذات إلا من ثلاث، شم الصبيان، وملاقاة الإخوان، والخلوة مع النسوان".

عدد الأربعة

"أربع من السعادة المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء" (ح) "أربع من سعادة المرء، أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبرار، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقه فى بلده" (ح) - رواه ابن عساكر والديلمى عن على بن أبى الدنيا عن عبد الله بن الحكم عن أبيه عن جده - "أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة، لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه خوفًا فى نفسها ولا ماله صالحة تعين أحدكم على دينه" (ح) - رواه الطبرانى والبيهقى عن ابن عباس عن أبى هريرة - "تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه -

عدد الخمسة

"خمس لا تنال بخمس، مودة النساء بالغلظة، ومودة الإخوان بالجفاء، والآخرة بالرياء، والعلم بالدعة، والفضل بالهزل" "كمال المرأة فى خمسة أحوال مرضاة ربها، وإطاعة زوجها، وحفظ لسانها، وزهدها فى متاع الدنيا، وصبرها على المصيبة".

عناية الإسلام بشأن المرأة

كانت المرأة قبل الإسلام مضطهدة أسيرة ذليلة لا قيمة لها عند جميع الشعوب والأمم عن عرب وغير عرب، قال الأستاذ الفاضل الشيخ رشيد أفندى رضا وهو اليوم فى عشر الثمانين من سنى حياته بجلائل الأعمال الدينية فى كتابه المسمى (نداء للجنس اللطيف) كانت المرأة تشترى وتباع

كالبهيمة والمتاع، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء، وكانت تورث ولا ترث وتملك (بضم التاء) ولا تملك (بفتحها) وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل وكانوا يرون للزوج الحق فى التصرف بمالها من دونها، وقد اختلفت الرجال فى بعض البلاد فى كونها إنسانًا ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا، وفى كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا، وفى كونها تدخل الجنة أو الملكوت فى الآخرة أم لا؟ فقرر أحد المجامع فى روميه (فى إيطاليا) أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكم فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنها أحبولة الشيطان، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق فى قتل بنته بل فى وأدها - دفنها حية - وكان فيهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل فى قتل المرأة ولا دية، وكان أهم إنصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسى فى أوربا بعد ولادة النبى ﷺ بخمس عشرة سنة ولم يكن يدرى هو ولا غيره ما سيجىء به النبى ﷺ من الإصلاح البشرى العام والنسوى الخاص ا هـ قال الكمال أحسن الله تعالى له: وقد حصل ذلك كله بصور كافية وافية بالغرض المقصود، فالمرأة فى الشرع حرة مختارة ترث وتورث وتملك (بفتح التاء) ولا تملك ولا تكره على فعل أى شىء يراد منها من مقبول ومردود، ولا حجر عليها فيما تملكه إلا بسبب، وليس لزوجها الحق فى التصرف بمالها إلا بإذنها. وهى إنسان عاقل مكلف بمثل ما يكلف به الرجال مما يصح اشتراك التكليف فيه بينهما تتعلم وتعلم وتثاب على كل عمل خير تعمله فى الديا والآخرة إذا أرادت به وجه الله تعالى، وتدخل الجنة فى الآخرة إذا ما ماتت مسلمة مؤمنة وإلا فلا نعم إن عليها واجبات لزوجها كما لها عليه كما قال تعالى: (ولهن مثل الذى

عليهن) وفى النساء الصالحة ومن هى هى حبالة من حبائل الشيطان، ويقاص قاتلها ومريد السوء بها مادة أو معنى ويحرم دفنها وهى حية إلى غير ذلك من الأحكام والحقوق مما هو مفصل موضح فى الشرع الإسلامى. وفى هذا الكتاب شىء كثير منه وكل ما يرى يحسب الظاهر أن فيه شدة على المرأة هو بالحقيقة ونفس الأمر تخفيف عليها ورحمة بها كالحجاب مثلا فإن القصد منه صونها من أن تمتد إليها العيون أولا ثم الأيدى ثانيًا بما لا يحل مد العين واليد فيه، فالمتحجبة المستترة مصونة من وصول شر الأشرار اليها قولا وعملا بخلاف المتبرجة المتكشفة فإنها عرضة إلى كل خطر يدنس العرض ويلوث الشرف، لا سيما أن حالتها هذه كناية تعرضها لمن يريدها، ولو ان فى المتبرجات من لا يقصد هذا ولكن العبرة للغالب. وقد قيل من سالف الأزمان: كاد المريب أن يقول خذونى. وقال الأستاذ شمس الدين الغريانى الموظف بدار الكتب المصرية فى مقالة نشرها فى جريدة المقطم: لم تكن المرأة فى عهد القانون الرومانى شيئًا يؤديه له، فهى قبل زواجها تحت سلطة والدها فإذا تزوجت دخلت تحت سلطة زوجها فلا تستطيع التصرف فيما تملكه فهى أشبه بالعبيد الأرقاء، ثم أخذت تستعيد حريتها شيئًا فشيئًا حتى نالت منها قسطًا ولكنه غير كامل وسبب سوء معاملتها ضعفها عن حماية نفسها. وأما القانون الفرنسوى فإنه ترك للفتاة العذراء والأرملة كل حقوقها وحريتها من غير ولاية لأحد عليها ما دامتا بالغتين سن الرشد، وأما التزوجة فهى تحت سلطة زوجها المطلقة لا لضعفها بل لوجوب طاعتها لزوجها فأهليتها لما كانت فتاة غير متزوجة أو أرملة تزول بزواجها لا لكونها امرأة بل لكونها زوجة، فالمتزوجة لا تستطيع أن تتناول شيئًا من ممتلكاتها ببيع أو هبة أو غير ذلك إلا بترخيص من زوجها ما لم يكن غائبًا غيبة طويلة يتعذر معها أخذ الإذن منه، ولا تستطيع مزاولة مهنة إلا بعد موافقة زوجها، وللزوج السلطة فى مراقبة

شئون زوجته الشخصية فله أن يمنعها من الاجتماع بأى شخص لا يريد اجتماعه بها ولا اجتماعها به، وله أن يطلع على ما تكتبه وتراسل به وأن يفتح مكاتيبها المرسلة منها والمكاتيب الواردة إليها، وله أن يمنعها من قراءة أى كتاب لا يليق بها أن تقرأه. وهو مع ذلك يخاطبها بلفظ سيدتى افعلى كذا أو سيدتى لا تفعلى كذا اهـ قال الكمال أحسن الله تعالى إليه: وأين هذا التذبذب والتفريق فى المعاملة بين الإبكار والأرامل والمتزوجات من نساء فرنسا من قانون العدل والإحسان قانون الشرع الإسلامى فى معاملة النساء من غير تفريق فى الصفة حيث قال تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالمرأة فى الشرع الإسلامى لابد لها من ولى وهى حرة فيما تملكه وتتصرف به ما لم تكن سفيهة أو مبذرة، وليس لزوجها أن يطلع على أسرارها إلا إذا حدث منها ما يوقعه فى الشبهة، وليس له أن يسافر بها إذا شرط لها أن لا يخرجها من بلدها، وأما إذا لم يشترط لها ذلك فقد كان الحكم الشرعى أن لا يسافر بها من بلدها قدر مدة السفر، ثم أفتى شيخ الأزهر السابق الشيخ مصطفى المراغى بلزوم ذهاب الزوجة مع زوجها أينما ذهب عملا بقول بعض أئمة الفقه من غير أصحاب المذاهب الأربعة للحكمة المقتضية لذلك، وهى لزوم أن تكون الزوجة مع زوجها والزوج مع زوجته ليحصل التعاون منهما على الحياة المعايشة لا سيما فى هذه الأوقات التى كثرت فيها وسائل المناقلات، فلم يبق مجال لأن يقال بعد وقرب يخشى منه عليها، فأبعد مكان يتوصل إليه بأقرب مدة وهذا أمر حق فإنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان مما فيه المصلحة للناس والرفق بهم والحمد لله على دين الإسلام فإنه دين تسهيل ورفق ويسر كما قال تعالى (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين.

باب

فى ذكر ما جاء من ذم النساء والأمر بمعاملتهن بالشدة والجفاء

كل شيء بحد ذاته قابل لأن يمدح ويذم، ويقبل ويرد، باعتبار ما تركب منه من العناصر. فالنساء يمدحن ما كن متمسكات بالشرع الإسلامى من اتباع أمر واجتناب نهى، كما أنهن يذممن إذا خالفن أمر الله تعالى إيجابًا وسلبًا بالرغم مما فيهن من طبائع وأخلاق وعادات كادت تكون جبلة فيهن، وإنما التعليم الدينى يزيل تلك المنكرات كلها أو يخفف وطأتها، وما من داء إلا له دواء، وقد وصف الله تعالى النساء فى القرآن الكريم بأوصاف كثيرة مذمومة منها كونهن شهوة، ونقص عقولهن، وعجزهن عن القيام بأمورهن، واحتياجهن لولى يقوم عليهن، ولمن يحصنهن ونسبته حصول كثير من المنكرات لهن، وإذاعتهن الأسرار والخيانة لأزواجهن والكيد وقوة الشهوة والوقاحة والافتراء وغير ذلك مما هو مذكور وفى القرآن الكريم وليس بالقليل. وتجد سورة يوسف عليه السلام فيها كثير من تلك الأوصاف المذمومة فيما حصل بينه وبين امرأة العزيز وهى واحدة من النساء:

وما أوتى من مثله واحد فجائز إتيان أمثاله

ولا يقال إن ذلك خاص بامرأة فى واقعة حال مفردة، كلا فإن القاعدة الأصولية أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب كالقوانين التى تضعها الحكومات فإنها قد تكون بسبب واقعة حصلت وإنما يطبق عليها كل ما كان من شكلها فلا يقال إن هذه المادة أو هذا القانون كان بسبب الحادثة الفلانية فلا يطبق على غيرها وهذا لا يختلف فيه اثنان.

أما كون النساء شهوة فدليله قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من

النساء والبنين) الخ الآية. عدد الله تعالى جملة أشياء وصفها بأنها شهوة بادئًا منها بالنساء دليلا على أن الأهم المقدم ولذلك قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها من شقوتنا أن الله تعالى قدمنا حين ذكر الشهوات ا هـ والشهوة حركة النفس لطلب ما يلائمها والنفس أمارة بالسوء فلا تطلب إلا ما فيه هواها ورداها فالشهوة إذن هى اتباع هوى النفس من غير تقيد بشرع أو عرف، وتطلق فى الغالب على الأمور البهيمية من الملاهى والاستمتاع وغير ذلك، وعلى قدر قوتها فى النفوس تكون الخسة والصغة بنظر أهل العقول الصحيحة السليمة ولا يرد عليه أن ما ذكره الله تعالى فى الآية بعد ذكر النساء من البنين وكثرة المال والخيل والأنعام والحرث شهوة أيضًا لأنه ذكره فى آيات أخرى فى معرض المدح والامتنان به على خلقه ولا يمن بما هو مذموم قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولا تكون الزينة مذمومة إلا إذا اشتملت على منكر وقال حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام مع قومه (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا ويمددكم بأموال وبنين) ولا تكون نتيجة الاستغفار الأنعام بالشىء المذموم، فالأموال والبنون تمدح وتذم بحسب ما يترتب عليها، أما الشهوة فإنها مذمومة لذاتها لأنها لا تكون موافقة للشرع، ولا هى محل للثواب عليها. والشهوة ما تذكر إلا وهى مذمومة قال الشاعر:

رب مستور سبته شهوة ... فعرى عن ستره وانهكتا

صاحب الشهوة عبد فإذا ... ملك الشهوة أضحى ملكًا

وقد كانت زوجتى السيدة قدسية كريمة الشيخ جمال الدين القاوقجى رحمهما الله تعالى لا تحب أن تسمع منى كلمة شهوة وذلك إنى إذا سألتها عما تريده قائلا لها الرجل يأكل بشهوة عياله؟ تقول لى: لا تقل بشهوة عياله

فإنه عيب بل قل باشتهاء عياله ا هـ وفى قوله تعالى زين بالبناء لما لم يسم فاعله ما يفيد أن المزين غير الله لما فى آيات أخرى تدل على أن المزين هو الشيطان كقوله تعالى (الشيطان زين لهم) وقوله تعالى (وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم) وقوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم).

وأما نقص عقولهن وضعف ضبطهن فدليله قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) وقد ذكر الفقهاء: أنه لو شهدت ألف امرأة ليس معهن رجل لم تصح شهادتهن، نعم إنه تقبل شهادة اثنين فما فوق فيما لا يعلم إلا من جهتين كشهادة امرأتين أو أكثر على أن فلانة حبلى، أو غير حبلى، فإنهما تقبل شهادتهما من دون أن يكون معهما رجل للضرورة وهى عدم جواز اطلاع الرجل على عورة المرأة ليعلم أنها حبلى أو غير حبلى مثلا والضرورة تقدر بقدرها كما هى القاعدة الأصولية.

وأما عجزهن عن القيام بأمورهن بأنفسهن فدليله قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) وإنما يقام القيم على العاجز والقاصر والضعيف والمعتوه والسفيه والمبذر لما فى كل ألئك من معنى العجز عن حفظ كيانه وصيانة ماله وحماية نفسه والمرأة من هذا القبيل، فلذلك كان قيام الرجل عليها لازما ولا تصح تصرفاتها إلا بموافقة وليها وولى المرأة أبوها أو ابنها أو أخوها أو زوجها والأقرب لولايتها زوجها، فإن لم يكن لها زوج فابنها، فإن لم يكن لها ابن فأبوها، فإن لم يكن لها أب فأخوها، فإن لم يكن لها أخ فعمها، فإن لم يكن لها عم فالأقرب إليها نسبًا.

وأما كون إحصائهن من غيرهن لا من أنفسهن فدليله قوله تعالى

(والمحصنات من النساء) ذكرهن الله بصيغة اسم المفعول إشارة إلى أن إحصائهن من غيرهن وهو الولى عليهن، ولذلك لا يصح أن تزوج امرأة نفسها من غيرها بلا ولاية ولى عليها لعدم تميزها بين معرفة ما ينفعها وما يضرها فى عاجل أمرها وآجله، إذ ليس عندها من النظر والتفكير ما يسوغ لها زواجها نفسها، وكم من امرأة استبدت بأفعال نفسها فكانت عاقبة أمرها خسرًا. وبمقابلة ذكر الله تعالى المحصنات بصيغة اسم المفعول ذكر الرجال بصيغة اسم الفاعل فقال تعالى (محصنين غير مسافحين ولا متخذين أخدان) إشارة إلى أن إحصان الرجال من أنفسهم لا بسبب غيرهم

وأما نسبة حصول المنكرات لهن فدليله قوله تعالى (فإن أتين بفاحشة) وقوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) حيث نسب إتيان الفاحشة إليهن وقدم الزانية على الزانى إشارة إلى أنه لا يزنى رجل بامرأة إلا بموافقتها ورضاها فى الغالب مهما ظهر إباء وامتناع، قال بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٨.

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وإن قبحا

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بعد ما جمحا

وقال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ فى كتابه المحاسن والأضداد: وقيل لو أن أقبح الناس وجهًا، وأنتنهم رائحة، وأظهرهم فقرًا، وأسقطهم نفسًا، وأوضعهم حسبًا، قال لامرأة والله يا مولاتى لقد أسهرت ليلى، وأرقت عينى، وشغلتنى عن مهم أمرى فما أعقل أهلا، ولا ولدًا لمالت إليه وأحبته ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا، وأملحهم ملاحة. وكان مثل أم الدرداء أو معاذة القيسة أو رابعة العدوية ا هـ وفى تقديم الزانية على الزانى فى هذه الآية السالفة الذكر وتأخير السارقة عن السارق فى آية (والسارق

والسارقة فاقطعوا أيديهما) إشارة إلى مسارعة النساء فى شهواتهن أكثر من مسارعتهن لسد حاجاتهم ودفع ضرورتهن، لأن السارق إنما يسرق عن احتياج لا عن شهوة، وأما الزانية فإنها تزنى عن شهوة لا عن احتياج، لأن احتياجها يمكن تلافيه بعمل غير الزنا، وليس لها مهما اشتدت بها الحاجة والضرورة أن تنتهك عرضها. وقد قيل من القديم تموت الحرة ولا تأكل بثديها، فكيف بقرجها على أن أكلها بثديها أى إرضاعها طفل غيرها بأجرة ليس محظوراً شرعًا، ولا منفوراً منه عرفًا، فلم يبق إلا أن زناها أقرب إلى تسكين شهوتها من دفع حاجتها.

وأما إذاعتهن للأسرار وعدم كتمانهن لها فدليله قوله تعالى (وإذا أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثًا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض) نعم إن المرأة تقدر على كتم سر عمرها فإنها تبلغ الخمسين أو ما فوقها ويظهر عليها آثار الكبر والانحطا وإذا سئلت عن عمرها قالت إنها دون الثلاثين، أو أن فلانة التى هى فى عداد أولادها أكبر منها، كأن مر السنين لا يؤثر على سنى عمرها تأثيراً تزيد فيه. وأعرف امرأة كنت أرغب أن أتزوج بها سنة ١٣١٥ هـ وهى فى ذلك التاريخ لا تقل عن خمس عشر سنة تقول اليوم ونحن فى سنة ١٢٥٣ إن عمرها ما بلغ الثلاثين بعد، ولها ولد من الزوج الذى تزوجت به لا يقل عمره عن اثنتين وعشرين سنة اليوم، وقد تزوج وولد له ولدان. وهذا التشدد فى كتم سن أعمارهن مما لا مزيد عليه عند المتشددين* وفيه نساء تعرف أن الكذب مذموم ولا تكذب.

وأما خيانتهن لأزواجهن فدليلها قوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) والخيانة أنواع؛ تكون فى العهد والمال والعرض، وأشدها ضرراً خيانة الزوج

فى عرضه بأن يكون لها صاحب تستسلم إليه فيتمتع بها، وربما حملت منه فكان الحمل لزوجها إذ لا يعلم بحقيقة الأمر، فتحمل به وتلده على اعتبار أنه ابنه يشارك أهل أبيه فى النسب والمال ولا ضرر أعظم من خيانة الزوجة لزوجها فى عرضه، ولذلك ورد فى الحديث الشريف أن عليها نصف عذاب هذه الأمة. ولفظ الحديث "إن التى تورث المال غير أهله عليها نصف عذاب هذه الأمة" - رواه عبد الرزاق عن ثوبان - وفى حديث آخر "اشتد غضب الله على امرأة دخلت على قوم ولداً ليس منهم يطلع على عوراتهم ويشركهم فى أموالهم" - رواه البزار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفى حديث آخر "أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين يوم القيامة" - رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان ورواه الحاكم أيضًا عن أبى هريرة -

وحكايات خيانات الزوجات لأزواجهن كثيرة مستفيضة شائعة لا يخلو منها زمان ولا مكان، وقد كانت تسطر فى الكتب فصارت فى هذا العصر تنشر على صفحات الجرائد ويتناقلها الركبان فى جميع أقطار الأرض بسبب ما للجرائد من قوة الذيوع ووسائط الانتشار، وما قصه خيانة لطفيه من آل اليافى لزوجها فوزى الغرى بمجهولة عند أحد من الناس وقد صدق من قال عنهن: عقولهن فى فروجهن.

وأما الكيد وهو المكر والخبث والحيلة والزيادة فى إظهار التظلم تهويلا للأمر بالكذب فهو من صفات النساء اللازمة لهن، وقد وصفه الله تعالى بالعظم فقال له (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) وهون كيد الشيطان أمام كيد النساء فقال تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفًا) فالنساء بكيدهن أشد من

الشيطان بكيده على الرجال وقد استعاذ رسول الله ﷺ من كيد النساء فقال "اللهم إنى أعوذ بك من امرأة تشيبنى قبل المشيب" وقال فى حديث آخر "اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النساء - رواه الخرائطى عن سعد - قال العلامة الألوسى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ فى تفسيره والخطاب عام للنساء مطلقًا وكونه لها - أى لامرأة العزيز - ولجواريها كما قيل ليس بذاك، وتعميم الخطاب للتنبيه على أن الكيد خلق لهن عريق بهن، كما قال أبو تمام الشاعر المتوفى سنة ٢٣١ هـ:

فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

ولربات القصور منهن القدح المعلى من ذلك لأنهن أكثر تفرغًا من غيرهن، ولعظم كيد النساء اتخذهن إبليس وسائل لإغواء من صعب عليه إغواؤه، ففى الخبر ما أيس الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء. وحكى عن بعض العلماء أنه قال أنا أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان، فإن الله تعالى يقول (إن كيد الشيطان كان ضعيفًا) وقال للنساء (إن كيدهن عظيم) ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به. وما قيل إن ما ذكر من نسبة الكيد محكى عن قطفير (عزيز مصر) لا يصلح للاستدلال به ليس بشىء، لأن الله سبحانه وتعالى قصه من غير نكير فلا جناح فى الاستدلال به، وكان بعض الرجال الأخيار المبتلين بالنساء الأشرار يقول: إنى لأستعيذ بالله من شر زوجتى أكثر مما أستعيد به من شر الشيطان الرجيم، لأن الله تعالى يقول خطابًا للشيطان (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وأنا من عباده إنشاء الله تعالى، وأما النساء فليس فى القرآن ما يحفظنى منهن حتى لا أستعيذ بالله من شرهن ا هـ والمرأة الشريرة أشد على الرجل من الشيطان، وقدرتها على البكاء والشهيق والصراخ تعينها على أن تظهر بمظهر المظلومة وهى الظالمة فى كثير من الأحوال، ومن ظلمها يلقى الرجال أنواع الأهوال.

وأما قـوة الشهـوة فظاهرة من مراودة امـرأة عزيز مـصر ليوسف غـليه السلام عن نفسه وهى امـرأة كبيرة سنًا ومقامًا فلم يمنعهـا كبر سنها ولا علو مقامها من أن تتغلب على شهوتها وتحـفظ شرفها من أن تبتذله بعرض نفسها على من يعد بحـسب الظاهر أنه خادم لها ولم تكتف بذلك بل أصـرت عليه وهددته بالسـجن والتعـذيب إن لم يفعل مـا طلبتـه منه، وفى ذلك دليل بين على ما عندها من قوة الشهوة.

وأما الوقاحة والافتراء فى النساء فـهو أيضًا ظاهر من قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، فـقد حصحص الحق وتبين أنه برىء معـصوم وأنها هى المتعرضة له ومع ذلك ما خجلت ولا اسـتحيت ولا واربت فى كلامها بل أصرت عليه وطلبت تنفـيذه بالقوة والعنف، وهذا منتهى الوقاحـة. والشهوة فى النساء على الإطلاق أقوى منهـا فى الرجال ولا سيما نسـاء البلاد الحارة، ومن أجل ذلك كان من امرأة العزيز ما كان باعتـبار أنها امرأة فى بلاد لتربتها تلك الخاصة، والمرأة لا تتـبدل قوة شهوتها بكبـر سنها ورقة جلدها، بل هى فيـها على حالة واحدة. وإنما يمنعـها من الجهـر بها عدم اعتـقادها بمن يلبى طلبها، لأن الناس لا يألفون قرب العجائز مهما يكونوا ذوى شهوة قوية إلا ما ندر، فالطعن فى السن لا يؤثر عليها ما دامت حية تسعى. وأما شهوة الرجل فإنها محدودة بحد إذا بلغته لا تتعداه بل تأخذ بالتقهقر والانحطاط حتى يصل إلى درجة لا يشتهى معها الـنساء، وليس لذلك سن معينة بل هو بحسب قوة البنية وضعفها وصحة الجسم ومرضه.

وأما المكر فهو ظاهر من قوله تعالى: (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفـها حبًا إنا لنراها فى ضلال مبين) حيث لم يكن هذا القول منهن غيرة عليها ولا لتألـم من سوء حالها، ولكن لتسمع به امرأة العزيز فتسـتدعيهن فينظرون يوسف حيث بلغهن من جـماله ما شغل بالهن،

وقد ورد فى الأحاديث أنه أعطى نصف الحسن، وعلى أمل أن يستخلصنه لأنفسهن، فعلمت زليخا وهى امرأة العزيز (وقيل اسمها راعيل) بما قصدنه وأردته وعرفت أنه مكر منهن كما قال الله تعالى: (فلما سمعت بمكرهن أرسلت وأعتدن لهن متكئًا وآتت كل واحدة منهن سكينًا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقدر راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) وقد روى أنهن قلن له أطع مولاتك واقض حاجتها لتأمن من عقوبتها فإنها المظلومة وأنت الظالم. وروى أن كل واحدة منهن طلبت الخلوة به لتنصحه، فلما خلت به دعته لنفسها فيالله من مكر النساء وعهرهن يقلن عن امرأة العزيز (إنا لنراها فى ضلال مبين) ثم ينصحنه بأن يطيعها، ثم يطلبن الخلوة به لنصحه، حتى إذا خلت كل واحدة به طلبت منه أن يقع عليها فهل بعد هذا مكر فوق هذا المكر ا هـ قال الكمال أحسن الله تعالى إليه: ويستنبط من قصة زليخا امرأة العزيز وما وقع ليوسف عليه السلام معها غير ما ذكرناه أن النساء ينصر بعضهن بعضًا بحق وبلا حق قلن له أطع مولاتك واتهمنه بأنه ظالم لها لعدن إجابته وإنها مظلومة حيث منعها ما أرادت، وهذا طبيعة فى النساء لا تتبدل. فإنه مهما حصل من خلاف بين النساء والرجال وكان الحق ظاهرًا مع الرجل ينقلبن عليه وينتصرن لمن هى سواء أكن يعرفنها أم لم يعرفنها وأن عزيز مصر كان حليمًا سليمًا حيث لم ينبض له عرق ولا تهيج له دم، وقد علم وتحق ما فعلته امرأته بل اكتفى بقوله: (يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) قال العلامة الألوسى: كان قطفير عزيز مصر رجلا حليمًا كما روى عن الحسن، ولذا اكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها. وروى أنه كان قليل الغيرة. وفى البحر أن تربة إقليم قطفير اقتضت ذلك ا هـ ما قاله.

باب

فيما جاء من الأحاديث فى ذم النساء

وأما ما ورد من الأحاديث فى ذم النساء فهذا بعض منها قال رسول الله ﷺ (النساء حبائل الشيطان) - رواه البيهقى وابن عساكر عن عقبة بن عامر - وفى حديث آخر: "النساء لا يستشرن ولا يختبرن" وفى حديث آخر "إن أقل ساكنى الجنة النساء" - رواه الإمام أحمد ومسلم عن عمران بن حصين - وفى حديث آخر "عامة أهل الناء النساء" - رواه الطبرانى عن عبد الله بن حصين - وفى حديث آخر: ألا إن النار خلقت للسفهاء وهن النساء إلا التى أطاعت بعلها، وفى حديث آخر: "إن إبليس الملعون يخطب شياطينه فيقول عليكم باللحم وبكل مسكر وبالنساء فإنى لم أجد جماع الشر إلا فيها" وفى حديث آخر: لولا النساء لعبد الله حقًا" - رواه الديلمى عن أنس وابن عدى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفى حديث آخر: "لولا المرأة لدخل الرجل الجنة" - رواه الثقفى عن أنس - وفى حديث آخر: اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء والأغنياء" - رواه عبد الله ابن الإمام أحمد ابن حنبل عن عبد الله بن عمرو بن العاص - وفى حديث آخر: "مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم[1] الذى إحدى رجليه بيضاء" - رواه الطبرانى عن أبى أمامة - وفى حديث آخر: "الدنيا خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا والنساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء" وفى حديث آخر: "ليأتين على الناس زمان لو وقع حجر من السماء إلى الأرض ما وقع إلا على امرأة فاجرة أو رجل منافق" - وفى حديث آخر: "إذا كان الشؤم فى

---

(١) يريد قلة النساء الصالحات.

شيء ففي ثلاث المرأة والدار والفرس" وفي حديث آخر: "النساء غل قمل يقذفه الله في عنق من يشاء ثم لا يخرجه إلا هو" - وفي حديث آخر: "ما صعب على الشيطان أمر فأتاه من جهة النساء إلا هان عليه" وفي حديث آخر: "ما أخاف على أمتي أخوف عليها من النساء والخمر" - رواه يوسف الخفاف عن علي بن أبي طالب وفي حديث آخر: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" - رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل عن أسامة بن زيد - وفي حديث آخر "ما رأيت ناقصات عقل ودين أسبى للب ذوي الألباب منكن" - رواه أبو نعيم عن عبد الله بن عمر - وفي حديث آخر: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب من إحداكن أما نقصان العقل فإن شهادة امرأتين بشهادة رجل وأما نقصان الدين فإن إحداكن تفطر رمضان وتقيم أيامًا لا تصلي" يعني في حالتي الحيض والنفاس. وقد بينت الأحكام الفقهية أن الحائض والنفساء تقضي صيام رمضان ولا تقضي ما تركته من الصلاة - وفي حديث آخر "اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن إبليس طلاه رصاد وما هو بشيء من فخوخه بأوثق لصيده في الاتقياء من النساء" - رواه الديلمي عن معاذ - وفي حديث آخر: "استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر" وفي حديث آخر: "شاوروهن وخالفوهن فإن البركة في خلافهن" - وفي حديث آخر "أخروا النساء من حيث أخرهن الله" وفي حديث آخر "يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة" وفي حديث آخر: "إذا استقبلتك المرأتان فلا تمر بينهما خذ يمنه أو يسره" رواه البيهقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفي حديث آخر: "لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة" - رواه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد ابن حنبل عن أبي بكرة - وفي حديث آخر: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من

النساء إلا آسية امرأةفرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد" - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد ابن حنبل عن أبى موسى الأشعرى وفى حديث آخر: "طاعة النساء ندامة - رواه البيهقى وابن عساكر عن عائشة - وفى حديث آخر: "هلك الرجال حين أطاعت النساء" - رواه الإمام أحمد والطبرانى والحاكم عن أبى بكرة - وفى حديث آخر: "أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء لأنهن يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت ما رأيت منك خيرًا" وفى حديث آخر: "من تسع وتسعين امرأة واحدة فى الجنة وبقيتهن فى النار - وفى حديث آخر: "يا معشر النساء تصدقن فإنى رأيتكن أكثر أهل النار قلن وبم يا رسول الله؟ فقال تسرعن اللعن وتكثرن الطعن وتكفرن العشير إذا اجعتن دقعتن[1] وإذا شبعتن أشرتن - وفى رواية حجلتن" وفى حديث آخر: رأيت كأن امرأة ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بمهيعة فأولت أن وباء المدينة نقل إليها" - رواه البخارى والترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - ومناسبة ذكر هذا الحديث مع ما قبله كون وباء المدينة تمثل لرسول الله ﷺ بصورة امرأة إشارة إلى أن بين النساء والوباء مناسبة وعلاقة - فهذه ثلاثة وثلاثون حديثًا فى ذم النساء. وروى أيضًا أنهن محملات الآصار ومكلفات الأوزار وأكثر أهل النار لا يصبر عليهن إلا الأخيار.

---

(١) دقع رضى بالدون من المعيشة وساء احتماله للفقر ولصق بالتراب ذلا وفقرًا وأشر بطر وحجل رفع رجلا ومشى متربئًا على رجله الأخرى كناية عن البطر.

باب

فيما جاء فى ذم النساء عن الحكماء

وأما ما قيل من غير الآيات والأحاديث فى ذمهن فكثير منه ما جاء فى حكمة داود عليه السلام وهو: وجدت من الرجال واحدًا فى العدد ولم أجد واحدة فى النساء جميعًا. وفى العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ أجمعت العرب والعجم على أربع كلمات: فقالوا لا تحملن ما لا تطيق، ولا تعمل ما ليس لك فيه فائدة، ولا تثق بامرأة مهما تكن، ولا تغتر بمال وإن كثر. وفى كتاب مروج الذهب للمسعودى المتوفى سنة ٣٣٦ قال الحجاج بن يوسف الثقفى المتوفى سنة ٩٥ للوليد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء ولا تطلعهن على سرك ومكايدة عِدوك، ولا تطعهن فى غير أنفسهن، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن، وإياك ومشاورتهن فى الأمور فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك لهن، ولا تملكهن من الأمورما يجاوز أنفسهن، ولا تطمعهن أن يشفعن عندك لأحد، ولا تطل الجلوس معهن فإن ذلك أوفر لعقلك، وأبين لفضلك. وفى كتاب اللطائف والظرائف للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ كان الخليفة المأمون المتوفى سنة ٢١٨ يقول: النساء شر كلهن ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن ا هـ قال لقمان الحكيم لابنه: يا بنى إذا أردت أن تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء، فإن المرأة حرب ليس فيها صلح، إن أحبتك أكلتك، وإن أبغضتك أهلكتك. وقال أيضًا: اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب، واتق شرار النساء وكن من خيارهن على حذر. وقال معاوية بن أبى سفيان المتوفى سنة ستين رضىَ الله تعالى عنه النساء يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام. وقالت الحكماء: لم تنه امرأة قط عن شىء إلا فعلته. وسئل بعضهم أى

النساء أحب إليك الطويلة أو القصيرة؟ فقال القصيرة قيل ولم؟ قال لأن النساء شر كلهن، وما قصر من الشر كان أقل ضرر مما طال. وقال الشيخ أحمد الأبشيهى المتوفى سنة ٨٥٢ فى كتابه المستطرف قال حكيم: آخر عمر الرجل خير من أوله، يثوب حلمه، وتثقل حصاه، وتحمد سريرته، وآخر عمر المرأة شر من أوله، يذهب جمالها، ويذرب لسانها، ويعقم وحمها، ويسوء خلقها. وقال حكيم آخر: أضر الأشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء، فإن النساء متى عرفن قلبك بالغرام، ارعفن أنفك بالرغام - أى أذللنك - وقال آخر: لا ينبغى للعاقل أن يمدح امرأة إلا بعد موتها وقال طفيل الغنوى:

إن النساء متى ينهين عن خلق فإنه واقع لابد مفعول

ينهين بفتح الياء وضمها وقال الزمخشرى المتوفى سنة ٥٤٧ فى كتابه نوابغ الكلم: آنث من نسوة من اتخذ النسوة له أسوة وقال يتهكم بالنساء:

إن قومى تجمعوا وبقتلى تحدثوا

لا أبالى بجمعهم كل جمع مؤنث

وقالت بعض فضليان النساء: إنما النساء أغلال فليختر أحدكم ليده وعنقه وفى كتاب تعبير الأحلام للشيخ الأكبر محى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ لا يعتد برؤيا المرأة لعدم التثبيت منها فى أطوارها يقظة. وفى غيره من كتب تعبير الأحلام أن النعل تعبر بالمرأة فى راى فى منامه أنه خلع نعله دل على أنه يطلق امرأته والعوام إذا أرادوا أن يدعوا على أحد بشر قالوا يضر به عفلق والعفلق فى اللغة المرأة الخرفاء البذيئة المنطق، كأنهم يرون ابتلاء المدعو عليه بمثل تلك المرأة أشد ما يأتى عليه والترك يقولون المرأة طويلة

الشعور قصيرة الشعور على كتفها خرج، فما كان من خير رأته من زوجها فهو فى الجهة التى وراء ظهرها وما كان من شر زعمته فهو فى الجهة التى أمامها. قال الحكماء أحسن الله تعالى إليه: وقد قال الترك هذا القول وقتما كانت النساء تفتخر بطول شعورها، وأما اليوم فقد أصبحن يصصنه كما يقصه الرجل فأصبحن بلا شعور ولا شعور، وهم يسمون القملة كهلة، والكهلة يف العربية المرأة التى هى بين الثلاثين والأربعين من عمرها، فكأنها بنظرهم وهى فى سن الفتاة وبلوغ الرشد والأشد بمنزلة القملة ودرجتها وقيمتها، فما بالك بمن هى فوقه أو دونه وقال سيدنا على رضى الله تعالى عنه: لا تتخذوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تدعوهن يدبرن أمر العيال، فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن السالك وأوردن المهالك. وقد وجدناهن لا ورع لهن عند شهواتهن، ولا مروءة لهن عند خلواتهن يتهافتن على العصيان، ويتمادين فى الطغيان، ينكرن الكثير إذا منعن القليل. ينسبن الخير ويذكرن الشر، صوالحهن غادرات، وطوالحهن فاجرات، وأما المعصومات فهن المعدودات. إذا ائتمن على مال ضاع، أو على سر شاع. فاستعيذوا بالله من شر شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن. وفى كتاب الأوائل والأواخر للجلال السيوطى المتوفى سنة ٩١١ أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء - أى من جهة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام - وذكر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ فى كتابه المحاسن والأضداد أن تحية الدخول على ملوك الفرس أن يقول الداخل: عشت أيها الملك بسعادة الجد ورزقت الظفر على الأعداء، وأعطيت الخير، وجنيت طاعة النساء. وفى كتاب ألف باء لأبى الحجاج يوسف بن محمد البلوى المتوفى سنة ٦٠٥ قال بعض الحكماء القدماء النساء نار توهج وسلم إلى كل بلاء، وهن مثل شجرة الدفلى لها رونق وبهاء، فإذا أكل منها

البعير أدته إلى التوى - الهلاك - وقيل لسقراط الحكيم المتوفى قبل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام بـ ٢٧٧ سنة: أى السباع أحسن صورة؟ فقال النساء. ورأى امرأة عوراء فقال: ذهب نصف الشر. ورأى امرأة تركب البحر فقال: شر يجنى شرًا ورأى رأس امرأة معلقًا على شجرة فقال ليت كل الشجر بمثل هذا الثمر. وقال بعض الحكماء: من كانت لذته فى النساء وقع فى أعظم البلاء، ومن أراد أن يعيش عيش الرغد، ويحيى حياة بلا نكد، فلا يشغل فكره بشهوة النساء، ولا يومئ إليهن بطرف ولا يد. وقال آخر: كل أسير يفتك إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك، وكل مالك يملك إلا مالك النساء فإنه مملوك. وقال المرحوم عبد الرحمن الكواكبى المتوفى سنة ١٣٢٠ فى كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: النساء هن النصف المضر، لأنهن اقتسمن أعمال الحياة مع الذكور قسمة ضيزى، إذ جعلن نصيبهن هين الاشغال بدعوى الضعف، وجعلن نوعهن مطلوبًا عزيزاً بإيهام العفة، وجعلن الشجاعة والكرم سيئتين فيهن، وجعلن نوعهن يهين ولا يهان، ويظلم ولا يظلم أو يظلم فيعان فالبدوية تسلب الرجل نصف ثمرة عمله، والحضرية تسلبه ثلثين، والمدنية تسلبه خمسة أسداسه. وقال الكمال أحسن الله إليه فى كتابه ثمرات التجاريب: ذوات الحر، نصف العالم المضر، كيدهن عظيم، وقيدهن أليم، يشكين وهن الظالمات، ويتمنعن وهن الراغبات، يكفرن العشير. وينكرن الكثير، يحفظن الإساءة وينسين الإحسان، على طول الزمان، ناقصات عقل ودين، وأسيرات شهوات جمعاء لا أجمعين، وهن والطفل الصغير، يحسبان أن الرجل على كل شىء قدير، وقال أيضًا: النساء كفاك الله البلاء، قدود مائسة، وأفكار يابسة، وأجسام حاليه، ولكنها من العقول خالية، وروائح عطره، على أبدان قذرة، ما بين غيض وفيض،

ونفـاس وحـيض، يونس منظرهن، ويوسف مـخـبرهن، يـبددن الأمـوال، ويستعـبدن الرجال، يتغالين فى زينتـهن، ويتعالين فى مؤنتـهن، من غير أن ينظرن لأصلهن، ولا لمقدرة رجالهن، أهملن واجبـاتهن كل الإهمال، وقعدن عـالة على مناكب الرجـال، يأخذن منهم مـعلومًـا، ويعطينهم مـعدومًـا أو موهومًا، فـالرجل يكد، ويكدح، ويجد ويمزح، ويداوى ويجـرح، ويخسر ويربح، حتى يكون له عندهن مـحل، ومنهن أهل، وفيهن جمع شـمل، فيا لخفـة العقل، وقال أيـضًا: البلاء كل البـلاء، فى مقاربة الـنساء، المس مس أرنب، والـريح ريح رزنب، - نـوع من الطـيب - والاسم اسم زيـنب، - الزينب شجر حسن المنظر طيب الرائحة - والفعل فـعل عقرب، جمرة مغطاة بتمرة، وشهوة تحـتها حسرة، صوت المرأة يخرق أحشـاء القلوب، ومسها نار يحرق أستار العيوب:

ومن خبر الغوانى فالغوانى ضياء فى بواطنه ظلام

وقال أيضًـا: ما أشـبه النسـاء بالمنائر، فى اعوجـاج الباطن واستقـامة الظاهر، يتبعن من التطاول كل سبب، ولا ينتهى لهن طلب.

وقال سليمـان غزالة الطبيب: المرأة تيه وطيش وأشر، وحـرب وخصام بين البشر وقال المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ يصف النساء بقلة الثبات وركوب متن الأهواء ويحذر من الوثوق بوفائهن ومن الأكثرات لجفائهن:

إذا غدرت حسناء أوفت بعـهدها ومن عـهدها أن لا يدوم لهـا عهـد

وإن عـشـقت كـان أشـد صـبـابة وإن فركت فارقت فما فركها قصد

وإن حقدت لم يبق فى قلبـها رضا وإن رضيت لم يبق فى قلبهـا حقد

كـذلـك أخـلاق النسـاء وربما يضل بها الهادى ويخفى بها الرشد

وقال الشاعر:

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فهن أصل البليات التى ظهرت بين البرية فى الدنيا وفى الدين

جوامع أعداد لها بذم النساء اعتداد

عدد الاثنين: ومن جوامع الأعداد التى لها بذم النساء اعتداد ما جاء يف عدد الاثنين المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شيء قدير.

وقول الشاعر:

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما رأى النساء وأمرة الصبيان

أما النساء فيمهلن مع الهوى وأخوا الصبا يجرى بغير عنان

وقول الشاعر آخر وهو أبو الشيص المتوفى سنة ١٩٤:

شيئان لا تصبو النساء إليهما حلى المشيب وحلة الأنفاض

وقولهم فى عدد الثلاثة، ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجاب لهم؛ رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه، ورجل آتى سفيهًا ماله وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) وهذا حديث رواه الحاكم عن أبى موسى الأشعرى، وفى حديث آخر "ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة، العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو" رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقى عن جابر بن عبد الله - وفى حديث آخر "ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا؛ الديوث والرجلة من النساء ومد من الخمر" - رواه الطبرانى عن عمار ابن ياسر - ثلاثة لا تنتظر من ثلاثة؛ الحرمة من الفاسق، والنصيحة من العدو

والوفاء من المرأة. ثلاثة الإقدام عليها خطر، شرب السم للتجربة، وركوب البحر للغنى، وإفشاء السر إلى النساء. ثلاثة لا راحة إلا بمفارقتها، السن المتأكلة، والخادم الفاسق، والمرأة السليطة. ثلاثة من خواص المرأة، إذا طعنت فى السن يعقم رحمها ويبذؤ لسانها، ويسوء خلقها، بخلاف الرجل فإنه إذا طعن فى السن يستجمع رأيه وتذهب حدته، ويحسن خلقه. كدر العيش فى ثلاثة الجار السوء، والولد العاق، والمرأة السليطة.

وقولهم فى عدد الأربعة "أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى غضب الله المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الرجال" وفى حديث آخر "أربعة لعنوا فى السماء، رجل خلقه الله ذكراً فتأنث، وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تشبه بالرجال؛ والذى يضل الأعمى، ورجل حصور[1] ولم يجعل الله حصوراً إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام" - أجمعت العرب والعجم على أربع كلمات فقالوا، لا تحملن ما لا تطيق، ولا تعمل ما ليس لك فيه فائدة، ولا تثق بامرأة مهما تكن، ولا تغتر بمال وإن كثر. أربع من الشقاء "المرأة السوء والجار السوء والمركب السوء والمسكن الضيق" وهذا حديث. وفى حديث آخر: "أربعة يمتن القلب، الذنب على الذنب، وكثرة مصاحبة النساء وحديثهن وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك، ومجالسة الموتى" قيل يا رسول الله وما مجالسة الموتى؟ قال "كل غنى مترف وسلطان جائر" أربعة تسلب القرار، المرأة السوء، والولد العاق، والعشير المخالف، والعبد اللئيم، أربعة لا يطاقون عبد ملك، ونذل شبع، وأمة ورثت، وقبيحة تزوجت، أربعة من الشقاء، كثرة العيال وقلة المال، وجار السوء، والزوجة الخائنة. من أراد طول البقاء

(١) الحصور الذى ليس له شهوة فى النساء والمبالغ فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى والمراد هنا المعنى الأول.

فعليه بأربعة أشياء، مباكرة الغداء - وتأخير العشاء - وتخفيف الرداء (الدين) والإقلال من غشيان النساء لا تعبأ بأربعة، زهد الخصى. وتوبة الجندى، ونسك النساء، وعبادة الصبيان وقولهم فى عدد الخمسة: خمسة من مصائب الدنيا، موت الأحباب، وذهاب المال، وشماتة الأعداء، وطول السقم، والمرأة الشريرة ا هـ نقلا من كتاب لوامع الإسعاد فى جوامع الأعداد للمؤلف.

أقوال الإفرنج فى ذم النساء

قال الفيلسوف شوبنور الألمانى: يسألوننى عن الأفعى اللينة الناعمة الملمس وهى أمامهم فى كل وقت بل فى كل لحظة، ألا وهى المرأة! لتكن المرأة ملكًا طاهرًا أو شيطانًا رجيمًا فما لنا ولها أجارنا الله من شرها وأذاها. الحب وردة والمرأة شوكتها، أتركوا للمرأة حريتها ولا تجعلوا عليها رقيبًا، ثم قابلونى بعد سنة وأخبرانى عن النتيجة. إن قولنا عن المرأة أنها سيدة لغة يجب القضاء عليها حتى ل ايبقى إلا نساء غارقات فى الشئون المنزلية فقط، يجب أن تبقى المرأة امرأة. وقال وولته سكون الكاتب الإنكليزى: جمال المرء فى عقله، وعقل المرأة فى جمالها. وقال شكسبير الشاعر الإنكليزى: لو سقيت الأرض بدموع النساء لأنبتت كل قطرة حية وقال أرسطو من حكماء اليونان الأقدمين: إذا عجزت الطبيعة عن خلق الذكر خلفت أنثى وقال أنه زوب من قدماء الحكماء أحسن ما خلقته الطبيعة وأقبحه المرأة وقال سن غرة غوار الفرنسوى: وجود امرأة صالحة أصعب من وجود غرا أبيض. وقال بيلقو: المرأة توصف ولا تعرف وقال زاغارة بللا: المرأة قارورة عطر مختومة، إذا لم تفتحها لم تستفد منها، وإنما تبقى بيدك زينة، فإذا فتحتها طار ما فيها ولم يبق بيدك غير القارورة. ويقول الإنكليز المرأة فى سن طفولتها بعوضة، وفى سن صباها ذبابة، وفى زمن تعلمها فى المدارس صرصور، وفى زمن

شبابـها جرادة، وفى أيام زواجـها نحلة وبعـد زواجهـا زنبور. وفى هرمـها ثعبان. ويقولون أيضًا لم يخلق الله للنساء لحمى ولا شوارب ليعلم من يراهن أنهن ناقصات. ويقـولون أيضًا إنما يرغب الرجال بالنساء الجميـلات ليقال إن فيـهن نوعًا من الصفات الحـسنة ولو صورة لأنهن خاليـات من الحسن بالمرة. والفرنسويون إذا سمـعوا بحادثة جناية ولم يعلموا مسببـها قالوا ابحث تجدها بسبب المرأة لأن تسعين فى المئة من الوقـائع الجنائية التى تحصل فى العالم إنما تحصل بسبب النساء فهن أصل الشر ومنبع الفساد فى العباد والبلاد.

obeikandl.com